الإمـام عـلي عليه السلام

في ميزان التفسير آية إكمال الدين نموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور
حيدر كريم كاظم الجمّالي

المدرس الدكتور
صادق فوزي دباس

جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

الإمام علي عليه السلام في ميزان التفسير آية إكمال الدين أنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور
حيدر كريم كاظم الجمّالي

المدرس الدكتور
صادق فوزي دباس

جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

قال حسان بن ثابت ـ ناقلاً حادثة الغدير ـ

ينـــاديهم يـــوم الغـــدير نبـــيهم ... بخـــمٍ واسمـــع بالرســـول مناديـــا
وقـد جـاءه جبريـل عـن أمـر ربـه ... بأنـــك معصـــوم فـــلا تـــك وانيـــا
وبلّغهـــم مـــا أنـــزل الله ربهـــم ... إليـك ولا تخشـى هنـاك الأعاديـا
فقـــام بـــه إذ ذاك رافـــع كفـــه ... بكـف علـي معلـن الصـوت عاليـا
فقـــال: فمـــن مـــولاكم ونبـــيكم ... فقـالوا ولم يبـدوا هنـاك التعاميـا
إلهـــك مولانـــا وأنـــت نبينـــا ... ولم تلـق منـا في الولايـة عاصـيا
فقـال لـه: قـم يـا علـي فـإنني ... رضـيتك مـن بعـدي إمامـاً وهاديـاً
فمـــن كنـــت مـــولاه فهـــذا وليـــه ... فكونـوا لـه أتبـاع صـدق مواليـاً
هنـــاك دعـــا اللـــهم وال وليـــه ... وكـــن للـــذي عـــادا عليـاً معاديـا
فيـا رب انصـر ناصـريه لنصـرهم ... إمـام هـدىً كالبـدر يجلـو الـدياجيا

المقدمة:

النص القرآني من أهم النصوص المعروفة لدينا من الوجهة الدينية، لأمور أهمها: كونه نصا ربانيا مقدسا وهو نص عبادي متكامل يفوق كل النصوص الأخرى. من هنا نفهم أن النص القرآني يجب أن يكون واضحا بيّنا؛ لأنه موضع عناية المسلمين ومنهاج قوانينهم التعبدية والشرعية.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار التكلم عن حيث الغدير

ووضعه في الميزان هو مدى أهمية هذا الموضوع والحاجة الماسة لإلقاء الضوء عليه خاصة في عصر بات يشكو تمزق المجتمعات في زمن أصبح كل مجتمع فيه يتعدد بطوائفه وأجناسه على الرغم من أن الله قد قال في كتابه العزيز ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٩٢ مخاطباً المسلمين كافة فهو يخبر-جل وعلا- بان أمة الإسلام أمة واحدة، وهو ربها وحده، ولا شريك له والإسلام دين واحد له كتاب واحد ونبي واحد إمام واحد، وما وحده الله تعالى ينبغي ان لا تفرقه الأهواء و العصبيات.....

ولا ريب في أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أورث علياً عليه السلام من العلم والحكمة، ما أورث الأنبياء عليهم السلام أوصياءهم حتى قال رسولنا صلى الله عليه وآله ((إنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها)).

من هنا جاءت هذه الدراسة في مبحثين يسبقهما تمهيد تضمن تاريخيا واقعة الغدير، ثم جاء المبحث الأول الذي خصصناه لاحتجاجات الإمام عليّ عليه السلام بحديث الغدير ورواته و على من أنكروه، وكانوا سببا في سلب حقه الشرعي، أما المبحث الثاني: فجاء للحديث عن آية الغدير وأقوال المفسرين فيها وهم بين شاك - والعياذ بالله - وبين مؤيد وداعم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله. مستدلين في ذلك كله على أقوال العلماء والمفسرين جاعلين أقوالهم في ميزان العدل مرجحين الرأي الصائب والدقيق الذي لا غبار عليه إلا وهو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

التمهيد:

حادثة الغدير قراءة تاريخيه:

أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحج في سنة عشر من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم إلى المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك التي يقال

عنها (حجة الوداع) نسبة إلى نزول قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧

أو يقال لها حجة الكمال والتمام نسبة لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة ٣.

فخرج الرسول صلى الله عليه وآله من المدينة المنورة مغتسلا مترجلا متجردا في ثوبين صحاريين وذلك في يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذي القعدة، واخرج معه نساءه كلهن- وهنا لابد من الإشارة إلى حكمة أخراج كل النساء- في الهودج، وسار معه أهل بيته عليهم السلام وعامة المهاجرين والأنصار ومن شاء من قبائل العرب وعامة الناس[1].

وقد روي في السيرة الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما خرج أصاب الناس بالمدينة مرض الجدري أو حصبة منعت كثيرا من الناس من الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع ذلك كان مع جموع لا يعلمها إلا الله تعالى فقد قيل: معه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، ويقال: مائة ألف وعشرون ألفا ويقال: أكثر من ذلك بكثير[2].

أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعش بشرف السياله، وصلى هناك المغرب والعشاء، ثم صلى الصبح بعرق الظبية، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به، وصلى الصبح بالإثابة، وأصبح الثلاثاء بالعرج، واحتجم بلحى جمل، ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالابواء، وصلى هناك، ثم راح من الابواء ونزل يوم الجمعة الجحفة ومنها إلى قديد وسبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلما كان بالغميم إعترض المشاة فصفوا صفوفا فشكوا إليه المشي، فقال استعينوا بالنسلات وهو مشي سريع دون العدو

ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثنين بمرا الظهران فلم يرح حتى أمسى وغربت له الشمس بسرق فلم يصل المغرب حتى دخل مكة ولما انتهى إلى الثنتين بات بينهما، فدخل مكة نهار الثلاثاء[٣]. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله مناسكه انصرف راجعا إلى المدينة المنورة فوصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس [٤] الثامن عشر من ذي الحجة نزل عليه الأمين جبرئيل بقوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة ٦٧:

وأمره أن يقيم علياً عليه السلام علما للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد من المسلمين، فنودي بالصلاة من ذلك اليوم - صلاة الظهر - فعمد إليها الرسول فصلى بالناس، وكان يوما هاجرا - حراً - يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء. وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من صلاته قام خطيبا وسط القوم على اقتاب الإبل[٥]. وأسمع الجميع فقال:-

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضلّ، ولا مُضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. أما بعد: أيها الناس قد نبّأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعَمّر نبيّ إلاّ مثلَ نصفِ عمر الذي قبله. وإني أوشك أن أدعى فأجيب. وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون. فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغتَ ونصحتَ وجهدتَ، فجزاك الله خيراً. قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنّته حقّ وناره حقّ، وأن الموت حقّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث

من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: أللهمّ اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم.

قال: فإني فرَط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، ... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثم أخذ بيد عليّ فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، يقولها ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات - ثم قال: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب. ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أللهُ أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي "ثم طَفِقَ القوم يهنّئون أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وممن هنّأه - في مقدّم الصحابة - الشيخان - أبو بكر وعمر كلّ يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم. فقال حسّان بن ثابت: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ. فقال: "قُل على بركة الله" فقام حسان، فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادةٍ من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم	بخمّ، وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكمُ ونبيّكم	فقالوا، ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيّنا	ولم تلق منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه	فكونوا له أتباع صدقٍ مواليا
هناك دعا اللهم والِ وليّه	وكن للذي عادى علياً معاديا[٦]

نقول أن حديث الغدير كان محل العناية الإلهية إذ أوحاه تبارك وتعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله، وأنزل فيه قرآنا يرتله المسلمون أناء الليل وأطراف النهار، يتلونه في خلواتهم وصلواتهم وفي أورادهم وجلساتهم وعلى منابرهم، فما بلغ الرسالة يومئذ بنصه على علي بالإمامة وعهد إليه بالخلافة. فإذا كانت العناية من الله - سبحانه - على هذا الشكل فلا غرو أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله بالعناية ما كان، فانه لما دنا أجله ونعيت له نفسه قرر بأمر الله على أن ينادي بالولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام على رؤوس الأشهاد، ولم يكتف بنص الدار فأذن في الناس بالحج من كل فج عميق فلما كان يوم الموقف بعرفات نادى صلى الله عليه وآله في الناس عليّ مني وأنا من علي[٧].

المبحث الأول

احتجاجات الإمام عليّ عليه السلام بحديث الغدير

لقد أحتج الإمام علي عليه السلام بحديث الغدير يوم الشورى فقال لهم لاحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيكم ولا أعجميكم تغير ذلك ثم قال: أنشدكم أيها النفر أفيكم أحد وحد الله قبلي؟ قالوا لا. قال فأنشدكم الله هل منكم أحد له أخ مثل جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة؟. فقالوا: لا. قال فأنشدكم الله هل فيكم أحد كعمي حمزة أسد الله ورسوله سيد الشهداء غيري؟. قالوا: لا قال:

فأنشدكم الله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله سيدة نساء أهل الجنة غيري؟. قالوا: اللهم لا. قال: أنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة غيري؟. قالوا: اللهم لا.قال: أنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله مرات قدم بين يدي نجواه صدقة قبلي؟. قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، ليبلغ الشاهد الغايب غيري؟. قالوا: اللهم لا[٨].

وكذلك أحتج الإمام بهذا الحديث أيام عثمان بن عفان عندما تذاكر الناس فذكروا قريشا وفضلها وسوابقها وهجرتها، وما قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل، وعلي بن أبي طالب ساكت لا ينطق، ولا أحد من أهل بيته،، فاقبل إليه القوم فقالوا: (يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟ فقال: ما من الحيين إلا وقد ذكر فضلا، وقال عليه السلام: حقا فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار بمن أعطاكم الله هذا الفضل بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومنّ به علينا بمحمد صلى الله عليه وآله وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرنا، ولا بأهل بيوتاتنا. قال: صدقتم يا معشر قريش والأنصار، ألستم تعلمون أن الذي نلتم من خير الدنيا والآخرة منّا أهل البيت خاصة دون غيرهم، وإن أبن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وأني وأهل بيتي كنا نورا يسعى بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق الله - عزّ وجل- ادم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمله في السفينة في صلب نوح عليه السلام، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام ثم لم يزل الله - عزّ وجل- ينقلنا في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمهات لم يلق منهم على سفاح قط. فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أحد نعم قد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم

قال: أنشدكم الله أن الله عزّ وجل فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وأني لم يسبقني إلى الله عزّ وجل وآل رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من أهل الأمة؟. قالوا: اللهم نعم. فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والسابقون السابقون أولئك المقربون؟ سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنزلها الله - تعالى ذكره - في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيي، أفضل الأوصياء. ثم قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؟ وحيث نزلت ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾؟ قال الناس: يا رسول الله أخاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟ فأمر الله عزّ وجل نبيه صلى الله عليه وآله أن يعلمهم ولاة أمرهم، أن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم، وينصبني عليهم بعد غدير خم ثم خطب وقال: أيها الناس أن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي فأوعد ني لأبلغها أو ليعذبني،ثم أمر فنودي بالصلاة جامعة ثم خطب فقال: أيها الناس أتعلمون أن الله عزّ وجل مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؟؟؟!!! قالوا بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال قم يا علي فقمت فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وآل من والاه وعادي من عاداه[٩]). وكذلك احتج به الإمام عليه السلام لما بلغه اتهام الناس له فيما كان يرويه من تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله إياه على غيره، ونوزع في خلافته فاجتمع بهم بالرحبة في الكوفة وأنشدهم حديث الغدير ردا على من نازعه فيها[١٠].

وأحتج به الإمام في يوم الجمل سنة (٣٦هـ) هو على طلحة بن عبيد الله وبعث إليه فأتاه فقال: (نشدتك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه. قال: نعم. قال: فلم تقاتلني؟. قال: لم أذكر وأنصرف)[١١]. وذكر احمد بن حنبل أن رهطا جاء إلى

علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: وكيف أكون مولاكم وأنتم عرب؟. قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه[١٢].

وقد صعد المنبر في حرب صفين في عسكره، وجمع الناس ومن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (معاشر الناس أن مناقبي أكثر من أتحصى وبعد ما أنزل الله في كتابه ذلك، وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله أكتفي بها عن جميع مناقبي وفضلي، أتعلمون أن الله فضل في كتابه السابق على المسبوق، وإنه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحد من الأمة. قلوا: نعم. قال: أنشدكم الله سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم، وإنا أفضل أنبياء الله ورسله ووصيي علي بن أبي طالب)[١٣].

وتواتر حديث الغدير مما تقتضي به النواميس التي فطر الطبيعة عليها، شأن كل واقعة تاريخية عظيمة يقوم بها عظيم الأمة، فيوقعها بمنظر وبمسمع من الألوف المجتمعة من أمته من أماكن شتى، ليحملوا نبأها عنه إلى من وراءهم من الناس، ولاسيما إذا كانت من بعده محل العناية من أسرته وأوليائهم في كل خلف، حتى بلغوا بنشرها، وإذاعتها كل مبلغ، فهل يمكن أن يكون نبؤها من أخبار الآحاد، كلا وحاشا، بل لابد أن ينتشر الصبح ولن تجد لسنة الله تحويلا أو تبديلا يقول الإمام الو احدي في تفسير الآية من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾: (أنها نزلت في يوم غدير خم في علي بن أبي طالب عليه السلام)[١٤]. ونحن لا كلام عندنا في نزولها بولاية علي يوم غدير خم وإخبارنا في ذلك متواترة عن أئمة العترة الطاهرة وحسبنا مما جاء في ذلك من طريق غيرنا، فهذا صاحب الفتاوى الحامدية - مع تعنته وحقده - يصرح بتواتر الحديث في رسالته المختصرة الموسومة بالصلوات الفاخرة في الأحاديث المتواتر،

والسيوطي، وأمثاله من الحفّاظ ينصون على ذلك،ودونك محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين، وأحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، فإن هم تصدوا لطرقه، فأفردوا له كل منهم كتابا على حده، وقد أخرجه ابن جرير في كتابه من خمسة وسبعين طريقا، وأخرجه بن عقدة في كتابه من مئة وخمسة طرق[١٥]. فالذهبي على تشدده المعروف صحح كثيرا من طرقه[١٦]، وفي الباب السادس عشر من غاية المرام تسعة وثمانون حديثا من طريق أهل السنة في نص الغدير، على أنه لم ينقل عن: الترمذي، ولا عن النسائي، ولا الطبراني، ولا البزاز، ولا أبي يعلى، ولا كثير ممن أخرج هذا الحديث[١٧]. ولبيان ذلك سوف نعرض للكتب التي تناولت حديث الغدير وأيضا مؤلفها[١٨].

أولاً: أئمة المؤرخين:

أ- البلاذري في أنساب الأشراف.

ب- أبن قتيبة في الإمامة والسياسة.

ج- الطبراني في كتاب مفرد.

د- الخطيب البغدادي في تأريخه.

هـ- أبن عبد البر في الاستيعاب.

و- الشهرستاني في الملل والنحل.

ز- أبن عساكر في تأريخه.

ح - ياقوت الحموي في معجم البلدان.

ط- أبن الأثير في أسد الغابة.

ي - أبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

ك- أبن خلكان في تأريخه.

ل- اليافعي في مرآة الجنان.

م - أبن كثير في البداية والنهاية.

ص- أبن خلدون في مقدمته.

ع- شمس الدين الذهبي في تذكرة الحفاظ.

ف- النويري في كتاب نهاية فنون الأدب.

س- أبن حجر العسقلاني في كتابيه: الإصابة وتهذيب التهذيب.

ق- أبن الصباغ في الفصول المهمة.

ر- السيوطي في غير واحد من كتبه.....

ت- نور الدين الحلبي في السيرة الحلبية.

وغيرهم مما يطول بنا ذكره، ويحتاج إلى كتب توفيه ربما حقه.

ثانياً: أئمة الحديث:

أ- محمد بن إدريس الشافعي في نهاية الأثر.

ب- أحمد بن حنبل في مسنده.

ج- أبن ماجه في سننه.

د- الترمذي في سننه.

هـ- النسائي في الخصائص.

و- أبو يعلى الموصلي في مسنده.

ز- البغوي في مسنده.

ح- الحاكم في مستدركه.

ط- الخطيب الخوارزمي في كتابيه:المناقب، ومقتل الإمام الحسين.

ي- محب الدين الطبري في الرياض النضرة.

ق- الحموييني في فرائد السمطين.

ل- الجزري في أسنا المطالب.

م- الذهبي في التلخيص.

وغيرهم كثير مما يطول بنا المقام ذكره.

ثالثاً: أئمة المفسرين:

أ- الطبري في تفسيره.

ب- الثعلبي في تفسيره.

ج- الو احدي في تفسيره.

د- القرطبي في أسباب النزول .

هـ- أبو السعود في تفسيره.

و- الفخر الرازي في تفسيره الكبير.

ز- أبن كثير الشافعي في تفسيره .

ح- النيشابوري في تفسيره.

ط- جلال الدين السيوطي في تفسيره.

ي- الخطيب الشربيني في تفسيره.

ص- الألوسي البغدادي في تفسيره.

وغيرهم مما يطول بشرحه المقام.

رابعاً: أئمة المتكلمين:

أ- القاضي أبي بكر الباقلاني في التمهيد.

ب- القاضي عبد الرحمن الازيجي في المواقف.

ج- البيضاوي في طوالع الأنوار.

د- شمس الدين الأصفهاني في مطالع الأنظار.

هـ- التفتا زاني في شرح المقاصد.

و- القوشجي المولى علاء الدين في شرح التجريد.

ز- القاضي محمد الشافعي في بديع المعاني.

ح- السيوطي في أربعينيته.

ط- حامد بن علي في الصلاة الفاخرة بالأحاديث المتواترة.

ي- الألوسي البغدادي في نثر اللئالي..... وغيرهم.

خامساً: أئمة اللغويين:

أ- أبن دريد في جمهرته.

ب- أبن الأثير في النهاية.

ج- الحموي في معجم البلدان(خم).

د- الزبيدي في تاج العروس.

هـ- النبهاني في المجموعة النبهانية.

وهذا ما اقتصر عليه إحصاؤنا - لضيق الوقت - وفي بطون الكتب التي لم

نذكرها كثير من الروايات.

أما رواة حديث الغدير من الصحابة فقد كفانا المرحوم عبد الحسين الأميني في كتابه الرائع (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) مؤنة ذكرهم ،وقد أحصى منهم (١١٠) من أعاظم الصحابة الذين وجد روايتهم في حادثة الغدير، وذكر أن هناك أكثر من ذلك بكثير، وطبع المحال يستدعي أن تكون رواة الحديث أضعاف عدد المذكورين، لأن السامعين الوعاة له كانوا مائة ألف أو يزيدون، وبقضاء الطبيعة أنهم حدثوا به عند مرجعهم إلى أوطانهم شأن كل مسافر ينبئ عن الأحداث الغريبة التي شاهدها في سفره، نعم فعلوا ذلك إلا أشذا ذ منهم صدتهم الضغائن عن نقله، والمحدثون منهم وهما، الأكثرون، فمنهم هؤلاء المذكورون، ومنهم من طوت حديثه أجواز الفلى بموت السامعين في البراري والفلوات قبل أن ينهوه إلى غيرهم، ومنهم من أرهبته الظروف والأحوال عن الإشادة بذلك الذكر الكريم[١٩]. وقد عددهم حسب ترتيب الحروف(٨٤) تابعيا، وذكر طبقات الرواة من العلماء وأحصى منهم (٣٦٠) بحسب وفياتهم، فقد وجد في كل قرن زرافات من الحفّاظ الإثبات، يروون هذه الإثارة من علم الدين، متلقين عن سلفهم، ويلقونها إلى الخلف، شأن يتحقق عندهم، ويخضعون لصحته من الأحاديث[٢٠]. وقد أحصى العلامة الأميني العلماء الذين ألفوا في حديث الغدير وبلغ عددهم(٢٦) عالما فقد أهتم العلماء بهذا الحديث فلم يقنعهم أخراجه بأسانيد مبثوثة خلال الكتب حتى أفرده جماعة بالتأليف، فدونوا ما أنتهي إليه من أسانيده، وضبطوا ما صح لديهم من طريقه، وكل ذلك حرصا على كلاءة متنه من الدثار وعن تطرق يد التحريف إليه[٢١].

ونقول: إن النبي صلى الله عليه وآله لما علم أن في أمته من لا يساند أبن عمه، ويناوئه بالقول والفعل، ويخشى أن يكون له مغبة وخيمة تأول إلى مضادته ونصب

العراقيل أمام سيره الإصلاحي من بعده، عقد ذلك الاجتماع العظيم فنوه بموقف وصيه من الدين، وزلفته منه، ومكانته من الجلالة، وإنه ليس لأحد من أفراد الأمة الإسلامية أن يقابله بشيء من القول أو العمل وإنما عليهم الطاعة له، والخضوع لأمره، والرضوخ لمقامه، وإنه يجري فيهم مجراه من بعده، فاكتسح بذلك المعا ثر عن خطته، وألحب السنن إلى طاعته، وقطع المعاذير عن محادته بخطبته التي ألقاها.

والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله، والقربى منه، والقناعة، وبذل النفس له، والعلم، بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والعفة، والعلم، وكل ذلك لعلي بن أبي طالب عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر.

المبحث الثاني

آية الغدير في ميزان المفسرين

من اللافت للنظر أن التعامل مع النص القرآني غالبا ما يكون بعيدا عن الحقائق التي تبرزها الاحداث المرافقة لنزول آي الذكر الحكيم والتي توضح سببا من أسباب النزول، وهي ان فهمت تكون أساساً للولوج إلى معنى النص القرآني وما نلحظه هنا ان التعامل في مثل نصنا المختار- آية الغدير- جاء على تفسير كثيرين من خلال احتكامهم للسمع دون العقل، والبحث العلمي والتدقيق على الرغم من كثرة الروايات التي تؤكد معنى النص الذي نزلت الآية به فضلا على تواتر الأحاديث فيه. ولكن ثقافة السمع وعلم الأهواء كان لهما رأي أخر ولعل الآية الكريمة التي نحن يصددها مصداقا لما نذهب إليه.

ففي تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) نجده يقول - بعد ان يذكر الآية الكريمة - (وفيه مسائل: المسألة الأولى: في الآية سؤال وهو أن قوله: اليوم

أكملت لكم دينكم، يقتضي أن الدين الذي كان ﷺ كان ناقصا قبل ذلك. وذلك يوجب أن الدين الذي كان ﷺ مواظبا عليه أكثر عمره كان ناقصاً. وأنه أنما وجد الدين الكامل آخر عمره مدة قليلة، وأعلم أن المفسرين لأجل الاحتراز عن هذا الإشكال ذكروا وجوها: الأول: إن المراد من قوله: أكملت لكم دينكم. هو إزالة الخوف عنهم وإظهار القدرة لهم على أعدائهم)[٢٢].

ويرى ابن كثير في الآية الكريمة: (أي: فارضوه أنتم لأنفسكم فأنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعثه، وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه. وقال علي بن أبي طليحة عن أبن عباس قوله: اليوم أكملت لكم دينكم. وهو الإسلام. وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: أنما نزلت (اليوم أكملت لكم دينكم) وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا فأن كمل فأنه لا يكمل شيء الإ إذا نقص. فقال النبي ﷺ: صدقت.ويشهد لهذا المعنى الحديث النبوي {إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء})[٢٣].

وفي فتح القدير نلحظ عندما يفسر الآية مدار البحث يقول: (جعلته كاملا غير محتاج إلى إكمال؛ لظهوره على الأديان كلها وغلبته لها ولكمال أحكامه التي يحتاج المسلمون إليها من الحلال والحرام والمتشابه، وفي ما تضمنه الكتاب والسنة من ذلك ولا يخفى ما يستفاد من تقدم قوله (لكم) قال الجمهور: المراد بالإكمال هنا نزول معظم الفرائض والتحليل والتحريم. قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كآية الربا وآية الكلالة ونحوها.

والمراد باليوم المذكور هنا يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر،هكذا ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب، وقيل: إنها نزلت في يوم الحج الأكبر. قوله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكمال الدين المشتمل على الأحكام وبفتح مكة وقهر الكفار، وأياسهم عن الظهور

عليكم كما وعدتكم بقولي ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ أي: أخبرتكم برضاي به لكم فأنه سبحانه وتعالى لم يزل راضيا؛ لأمة نبيه بالإسلام فلا يكون لاختصاص الرضا بهذا اليوم كثير فائدة أن حملناه على ظاهرة الرضا.ويحتمل ان يريد: رضيت لكم الإسلام الذي أنتم عليه اليوم دينا)[٢٤].

ويذكر ابن جرير الطبري في معرض تفسيره للآية الكريمة قائلاً: (قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، اليوم أكملت لكم، أيها المؤمنون، فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بيَّنت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتُها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة.

* ذكر من قال ذلك:

- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وهو الإسلام. قال: أخبر الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان،: حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: مكث النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية، إحدى وثمانين ليلة، قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

حدثنا سفيان قال، حدثنا ابن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص.

فقال: صدقت

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب،

أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينَهم، بإفرادهم بالبلدَ الحرام وإجلائه عنه المشركين، حتى حجَّه المسلمون دونهم لا يخالطهم المشركون.

فأما الفرائض والأحكام، فإنه قد اختلف فيها:

هل كانت أكملت ذلك اليوم، أم لا؟ فروي عن ابن عباس والسدّي ما ذكرنا عنهما قبل وروي عن البراء بن عازب أن آخر آية نزلت من القرآن: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ سورة النساء: ١٧٦

ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قُبِض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعًا. فإذ كان ذلك كذلك وكان قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ آخرَها نزولاً وكان ذلك من الأحكام والفرائض كان معلومًا أن معنى قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، على خلاف الوجه الذي تأوَّله من تأوَّله أعني: كمال العبادات والأحكام والفرائض.

فإن قال قائل: فما جعل قولَ من قال: "قد نزل بعد ذلك فرض"، أولى من قول من قال: "لم ينزل"؟

قيل: لأن الذي قال: "لم ينزل"، مخبر أنه لا يعلم نزول فرض، والنفي لا يكون شهادة، والشهادة قول من قال: "نزل". وغير جائز دفع خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقًا.

القول في تأويل قوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: وأتممت نعمتي، أيها المؤمنون، بإظهاركم على عدوِّي وعدوكم من المشركين، ونفيِي إياهم عن بلادكم، وقطعي طمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك)[٢٥]. وقال البغوي في تفسيره (روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: "لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص، قال: صدقت".

وكانت هذه الآية نعي النبي صلى الله عليه وآله وعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكانت هجرته في الثاني عشر. قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض. هذا معنى قول ابن عباس رضي عنهما، وروي عنه أن آية الربا نزلت بعدها)[٢٦].

وأما الزمخشري فيرى في تفسيرها: (عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع، كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام....)[٢٧].

وهذا القرطبي يدلو بدلوه في هذا المضمار فيقول:

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ حِين كَانَ بِمَكَّة لَمْ تَكُنْ إِلَّا فَرِيضَة الصَّلَاة وَحْدهَا فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَة أَنْزَلَ اللَّه الْحَلَال وَالْحَرَام إِلَى أَنْ حَجَّ ؛ فَلَمَّا حَجَّ وَكَمُلَ الدِّين نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وَقَرَأَهَا رَسُول اللَّه ﷺ بَكَى عُمَر ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُول اللَّه ﷺ:

(مَا يُبْكِيك)؟

فَقَالَ: أَبْكَانِي أَنَّا كُنَّا فِي زِيَادَة مِنْ دِينَنَا فَأَمَّا إِذْ كَمُلَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكْمُل شَيْء إِلَّا نَقَصَ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ: (صَدَقْت)، وَرَوَى مُجَاهِد أَنَّ هَذِهِ الْآيَة نَزَلَتْ يَوْم فَتْح مَكَّة.

قُلْت: الْقَوْل الْأَوَّل أَصَحّ، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَوْم جُمُعَة وَكَانَ يَوْم عَرَفَة بَعْد الْعَصْر فِي حَجَّة الْوَدَاع سَنَة عَشْر وَرَسُول اللَّه ﷺ وَاقِف بِعَرَفَة عَلَى نَاقَته الْعَضْبَاء، فَكَادَ عَضُد النَّاقَة يَنْقَدّ مِنْ ثِقَلهَا فَبَرَكَتْ. و﴿الْيَوْمَ﴾ قَدْ يُعَبَّر بِجُزْءٍ مِنْهُ عَنْ جَمِيعه، وَكَذَلِكَ عَنْ الشَّهْر بِبَعْضِهِ ؛ تَقُول: فَعَلْنَا فِي شَهْر كَذَا وَكَذَا وَفِي سَنَة كَذَا كَذَا، وَمَعْلُوم أَنَّك لَمْ تَسْتَوْعِب الشَّهْر وَلَا السَّنَة. وَذَلِكَ مُسْتَعْمَل فِي لِسَان الْعَرَب وَالْعَجَم، وَالدِّين عِبَارَة عَنْ الشَّرَائِع الَّتِي شَرَعَ وَفَتَحَ لَنَا ; فَإِنَّهَا نَزَلَتْ نُجُومًا وَآخِر مَا نَزَلَ مِنْهَا هَذِهِ الْآيَة، وَلَمْ يَنْزِل بَعْدهَا حُكْم، قَالَهُ اِبْن عَبَّاس وَالسُّدِّيّ، وَقَالَ الْجُمْهُور: الْمُرَاد مُعْظَم الْفَرَائِض وَالتَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم.

قَالُوا:

وَقَدْ نَزَلَ بَعْد ذَلِكَ قُرْآن كَثِير، وَنَزَلَتْ آيَة الرِّبَا، وَنَزَلَتْ آيَة الْكَلَالَة إِلَى غَيْر ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَمُلَ مُعْظَم الدِّين وَأَمْر الْحَجّ، إِذْ لَمْ يَطُفْ مَعَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَة مُشْرِك، وَلَا طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَان، وَوَقَفَ النَّاس كُلّهمْ بِعَرَفَة، وَقِيلَ: ﴿أَكْمَلْتُ

﴿لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بِأَنْ أَهْلَكْت لَكُمْ عَدُوّكُمْ وَأَظْهَرْت دِينكُمْ عَلَى الدِّين كُلّه كَمَا تَقُول: قَدْ تَمَّ لَنَا مَا نُرِيد إِذَا كُفِيت عَدُوّك.

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أَيْ بِإِكْمَالِ الشَّرَائِع وَالْأَحْكَام وَإِظْهَار دِين الْإِسْلَام كَمَا وَعَدْتُكُمْ، إِذْ قُلْت:

قَوْله تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يَدُلّ عَلَى أَنَّ الدِّين كَانَ غَيْر كَامِل فِي وَقْت مِنْ الْأَوْقَات، وَذَلِكَ يُوجِب أَنْ يَكُون جَمِيع مَنْ مَاتَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَار وَالَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَة وَبَايَعُوا رَسُول اللَّه ﷺ الْبَيْعَتَيْنِ جَمِيعًا، وَبَذَلُوا أَنْفُسهمْ لِلَّهِ مَعَ عَظِيم مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ أَنْوَاع الْمِحَن مَاتُوا عَلَى دِين نَاقِص، وَأَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ كَانَ يَدْعُو النَّاس إِلَى دِين نَاقِص قَالَ تَعَالَى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ الْأَنْعَام: ١٦١[٢٨]. وَمَعْلُوم أَنَّ النَّقْص عَيْب، وَدِين اللَّه تَعَالَى قِيَم، كَمَا وإذا استعرضنا كتب أمهات التفسير السنية فأننا نجدها تدور في محور الروايات ذاتها متناسية الحدث الجلل في ذلك اليوم ولا يمكن تفسير ذلك من هؤلاء الأعلام إلا وهو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

فمن بين الكتب التفسيرية الشيعية التي تطالعنا في هذا المقام كتاب جوامع الجامع للطوسي إذ يقول: (وما تحتاجون إليه في تكليفكم من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، وأتممت عليكم نعمتي بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. وروي عن الباقر والصادق عليهما السلام: (أنه لما نزلت بعد أن نصب النبي ﷺ علياً عليه السلام علما للأنام يوم غدير خم عند منصرفه من حجة الوداع، وهو آخر فرضية أنزلها الله تعلى ثم لم ينزل بعدها فريضة)[٢٩].

وفي مجمع البيان للعلامة الطبرسي إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: قيل فيه أقوال: احدها - إن معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي،

وحلالي وحرامي بتنزيلي ما أنزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان، وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع عن أبن عباس والسديّ واختاره الجبائي والبلخي، قالوا: ولم ينزل بعد هذا على النبي صلى الله عليه وآله شيء من الفرائض.... فأن اعترض معترض أكان دين الله ناقصا في وقت من الأوقات حتى أتمه في ذلك اليوم؟.

فجوابه إن دين الله لم يكن إلا في كمال كملا في كل حال، ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شيء أو تحريمه لم يمتنع أن يوصف بالكمال إذا أمن في جميع ذلك فيه، كما توصف العشرة بأنها كاملة، ولا يلزم أن توصف بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها.

وثانيهما: إن معناه اليوم أكملت لكم حجكم وأفردتكم بالبد الحرام تحجونه دون المشركين ولا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري.... قال الفراء وهي آخر آية به نزلت وهذا الذي ذكره لو صحّ لكان لهذا القول ترجيح.

وثالثهما: إن معناه اليوم كفيتكم الأعداء وأظهرتكم عليهم كما نقول: الآن كمل لنا الملك. وكمل لنا ما نريد بأن كفيتنا ما كنا نخاف عن الزجاج. والمروي عن الإمامين ابي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام أنه أنما نزل بعد أن نصّب النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام للأنام يوم غدير خم، منصرفه عن حجة الوداع، قالا وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزّل بعدها فريضة. وقد حدثنا السيد العالم أبو الحمد مهدي سيد نزار الحسيني قال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني، قال:اخبرنا أبو عبد الله الشيرازي قال:..... عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال: ((الله اكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وولاية علي أبن أبي طالب من بعدي، وقال: اللهم وآل من والاه وعادي من عاداه، واخذل من

خذله))[٣٠].

وقال السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان: (وما يؤيد ما ورد من الروايات أن الآية نزلت في يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة في أمر ولاية علي عليه السلام.....))[٣١]. فيروي حديث الخدري المتقدم فقال(إن النبي صلى الله عليه وآله يوم دعا الناس إلى غدير خم أمر مما تحت الثرى من شوك فقم، وذلك يوم الخميس، يوم دعا الناس إلى علي، وأخذ بيده ثم رفعها حتى نظر الناس إلى بياض أبطيه ثم لم يفترقا حتى نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ...﴾ فقال رسول: الله اكبر على إكمال الدين.....)[٣٢].

موازنة بين أراء المفسرين: قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة ٣.

فعلى مدى قرون وعلماء المسلمين يكتبون في تفسير هذه الآية، والقول فيمن نزلت لكن جلهم يكاد يخفي حقيقة النزول وهو يعلم جيدا فيمن نزلت فما هو السرّ فيما أخفى؟؟؟؟؟.

إن نظرة متفحصة للآية نجد أنها تبدأ بكلمة اليوم التي وردت هنا معرفة - معرفة بالإلف واللام - وهذا التعريف يعطي صورة واضحة لأهمية ذلك اليوم وعظمته في حياة المسلمين كافة.فقد روى أبو هريرة (ان الصوم فيه يعدل عبادة ستين سنة)[٣٣]. وفي النهاية لأبن الأثير: (ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في جمع جمع حضر من المسلمين: أولست أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قالوا: بلى. فقل: من كنت مولاه فعلي مولاه فنهض عمر بن الخطاب وقال: بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة)[٣٤]. وعن أهمية صاحب هذا اليوم يحدثنا الخليل بن احمد الفراهيدي النحوي - عندما سئل عن الإمام

علي عليه السلام فقال: ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسدا وأولياؤه خوفا فظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين[٣٥]. وفيه يقول احمد بن حنبل: ما جاء أحد من الصحابة من الفضائل ما جاء في علي بن أبي طالب[٣٦].

إذن لنسبر غور التاريخ في قصة ذلك اليوم بعد التمعن في النص الكريم يجد فيه أولا:إكمال الدين، وفيه إتمام النعمة، وأخيراً رضا الله - تبارك وتعالى - بأن يكون الإسلام ديننا، فما هو المقصود بالمطلب الأول: إكمال الدين؟؟؟. لعلنا لا نستوفي حق هذه المطالب ببضع وريقات هنا، ولكننا نعرف جيدا قوله ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران ٨٥: فقد أصبح دين الدولة الشرعي من يوم كان إبراهيم عليه السلام نبي الأمة،ودعا ربه في مكان البيت ان يكون نبي الأمة المسلمة خاتمة الأمم وأتمها ومن ذريته الأئمة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة ١٢٧ - ١٢٨:

فعندما وصل الأمر إلى ما وصل عليه كان رسول الله صلى الله عليه وآله آخر الرسل وخاتمتهم، هذا هو الإسلام الذي أسس أركانه قبله إبراهيم عليه السلام ثم بعث الله - عزّ وجل - خاتم الرسل صلى الله عليه وآله بالنبوة فأشاد صرحه وبنى أمته بجهاد وجهود مباركة استمرت طوال ثلاث وعشرين سنة، وكان عامل البناء معه بدل إسماعيل علي بن أبي طالب عليه السلام. هذا هو الإسلام الذي ظل ناقصا وبالذات إلى يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة المباركة، فأعلن الله - عزّ وجل- إكماله فكان يوم الغدير الذي توج بهذه الآية المباركة لآية إكمال الدين، ويتضح جليا خطورة الموقف من خلال قراءتنا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة ٦٧.

ونحن نعلم جيداً أن الخطاب الرباني للرسول الكريم عليه السلام كان رقيقا عذبا طوال بعثته الشريفة صلى الله عليه وآله مت خلال جملة نصوص منها قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ طه/٢ وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧: وغيرها كثير لا مجال لذكرها لكننا نجده تعالى في آية التبليغ يخاطبه بحسم لم نعهده سابقا.

فالحق يقول لرسوله أن هذا اليوم مركزي وإن عملك فيه بالتبليغ كمال للدين، ومن دونه يعد ناقصاً وسوف يذهب ما عملته هباء منثوراً.

إن مشروع بعثة الأنبياء هو إيصال جوهر العقل البشري إلى درجة الكمال أو الدرجة المتوخاة أي إلى درجة الكمال النظري، وجوهر الإرادة إلى درجة الكمال العملي، وكانت بعثة الأنبياء مقدمات لكي تبلغ هدفها وأوجها بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران ١٦٤:، ذلك ان تعلم الكتاب هو الجانب العلمي وبناء الوعي البشري وتعلم الحكمة هو الجانب الفعلي وبناء الإرادة البشرية وإكمال هذين الجانبين يحتاج إلى مفسّر رباني من أجل إكمال إيصال الرسالة ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم: ١.

وقال أيضاً - عزّ من قائل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل ٨٩.

ومن الأحاديث المروية في هذا السياق كثير جدا منها ما تقدم ذكره في المبحث الأول ولعل منها قول رسول الله صلى الله عليه وآله عندما خرج مع علي عليه السلام من

بيت عائشة فانقطع شسع نعله فألقاه إلى علي عليه السلام ليصلحه (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.فقال أبو بكر. إنا هو يا رسول الله. قال: لا. فقال عمر: إنا هو يا رسول الله. قال: لا. ولكنه خاصف النعل عند الحجرة)[٣٧] وغيرها كثير يطول بنا المقام وقد ذكرنا قسما منها في المبحث الأول من البحث. إن البشرية لم تر بعد النبي طه صلى الله عليه وآله من قال: سلوني قبل ان تفقدونني، ولم يعين حدا لما يسأل عنه لا في سماء ولا في أرض فهذا الشخص يستطيع ان يفسر كتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء، هذا هو أبو الحسن علي ابن أبي طالب عليه السلام.

هو الرجل الوحيد الذي فرض العدالة الإلهية وطبقها على وفق كتاب الله ومنهج نبيه، فكثر أعداءه، فكان عليه السلام طريقا للحق داعيا إلى الله فكان معه قليل حتى قال: لا يستوحشنك طريق الحق وان قل سالكوه. فهو لم يظلم نملة في سلبها شعيرة ولو أعطي الأقاليم السبعة. وكان طعامه المفضل كسرة خبز شعير وملح، وكانت راحته في تحقيق العدالة الإلهية، فكيف يقال له أمير المؤمنين وهو لايشارك المؤمنين جوعهم وعطشهم. وكان لا عهد له بالشبع[٣٨]. ذلك هو علي بن أبي طالب عليه السلام الذي سمع شخصا ذات يوم يقول: إني مظلوم. فقال له الإمام: إنك ظلمت مر لكني ظلمت عدد المدر والحصى[٣٩].

هوامش البحث

(١) ظ: الطبقات ابن سعد:٢٢٥/٣، إرشاد الساري: ٤٢٩/٦.

(٢) السيرة الحلبية:٣٨٣/٣، وظ: تاريخ الخلفاء - ابن الجوزي - ٢٥٠/٤.

(٣) ظ: الإمتاع والمؤانسة- المقريزي- :٥١٣-٥١٧.

(٤) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والأدب:١٠/١.

(٥) ظ: ثمار القلوب: ٥١١، ومجمع الزوائد: ١٥٦/٩، والغدير في الكتاب والسنة ١٠/١ وغيرها كثير.

(٦) ظ : تاريخ الخلفاء: ١١٤، وشمس الأخبار: ٣٨، وتاريخ أبن كثير: ٣٣٨/٧، وتفسير الرازي: ٦٣٦/٣، وروح المعاني: ٣٤٨/٢.

(٧) ظ: م. ن.

(٨) المناقب- الخوارزمي-: ٢١٧.

(٩) فرائد السمطين: ١٢٣.

(١٠) ظ: المترجم ٦٢، والإصابة: ٤٠٨/٢.

(١١) المستدرك:٣٧١/٣ ومروج الذهب:١١/٢، والمناقب: ١١٢..

(١٢) ظ: المترجم: ٩٧، وكشف الغمة:٩٣.

(١٣) تاريخ أبن عساكر:١٥٠/٣، وظ: الفهرست - ابن النديم-: ٣٠٧.

(١٤) أسباب النزول: ١٥٠.

(١٥) ظ: غاية المرام: ٨١/١٦ و الغدير في الكتاب والسنة: ٥٠/١ فما بعدها....

(١٦) ظ: الصواعق المحرقة: ٥/١.

(١٧) ظ: المراجعات :٢١٣.

(١٨) ظ: الغدير في اللغة والأدب: وفيه تفصيل واف لهذا المقصد.

(١٩) ظ :م.ن:١٤/١-٦١.

(٢٠) ظ: م ن :٦٢/١-١٥١.

(٢١) ظ:م ن :١٥٢-١٥٨.

(٢٢) تفسير مفاتيح الغيب: الرازي.

(٢٣) تفسير ابن كثير.

(٢٤) تفسير فتح القدير.

(٢٥) تفسير الطبري.

(٢٦) تفسير البغوي.

(٢٧) تفسير الكشاف: ٥٩٣/١.

(٢٨) تفسير القرطبي (البحر المحيط): ٦١/٦.

(٢٩) جامع الجامع - الشيخ الطوسي: ٤٧٤/١ وينظر في هذا الباب: التبيان: ٤٣٠/٣، أمالي الصدوق ٤٣٥/٨.

(٣٠) مجمع البيان: ٢٧٣/٣-٢٧٤.

(٣١) تفسير الميزان:١٧٧/٥.

(٣٢) م.ن:١٩٣/٥.

(٣٣) عبقات الأنوار:٢٤٦/٧، وظ: تاريخ دمشق:٢٣٣/٤٢.

(٣٤) النهاية: ٣٨٦/٧.
(٣٥) الدر المنثور٣٧٩/٦،الحق المبين في معرفة المعصومين:١١٨، الإمامة وأهل البيت: ١٩/٢.
(٣٦) المستدرك :١٠٧/٣، الاستيعاب :٤٦٦/٢.
(٣٧) مسند احمد بن حنبل: رقم الحديث (٢٥٥) وتاريخ مدينة دمشق:١٦٣/٣-١٧٤،كتاب الفضائل:١٩٣.
(٣٨) ظ: شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي ٢٩١/٢٣.
(٣٩) ظ: م.ن: ١٢٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- أسباب النزول: الو احدي (ت ٤٦٨هـ)، دار الكتاب العربي،بيروت.
- الإصابة :ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) دار الكتاب العربي،بيروت.
- إرشاد الساري: الملا علي بن سلطان (ت١٠١٤هـ) و مط دار الحجاز، لبنان بيروت.
- أمالي الصدوق: مؤسسة البعثة،١٤١٧هـ قم.
- الإمامة وأهل البيت عليه السلام:محمد بيومي مهران، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مط، نهضت، قم.
- الإمتاع والموانسة: المقريزي (ت٨٤٥هـ)دار الخلود للطباعة والنشر،بيروت، ١٩٦٢م.
- تاريخ الخلفاء: ابن الجوزي، دار النفائس العلمية، مصر.
- تاريخ أبن كثير: أبن كثير (ت٧٧٤هـ) دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- تاريخ ابن عساكر(ت٥٧١هـ)دار الكتاب العربي، بيروت.
- تفسير البغوي: تحقيق خالد عبد الرحمن، بيروت، دار المعرفة.
- تفسير التبيان : الشيخ الطوسي، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، مط المكتب الإسلامي، ط١، قم، ١٤٠٩هـ.
- تفسير الرازي: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان.
- تفسير روح المعاني: الألوسي (ت١٢٧٠هـ) مط، عالم الفكر، بيروت.
- تفسير الطبري: (جامع البيان) ابن جرير الطبري،(ت ٣١٠هـ) دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- تفسير القرطبي: تصحيح احمد عبد العليم البرد وني، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير ابن كثير: (ت٧٧٤) دار المعرفة، بيروت.

- تفسير فتح القدير، الشوكاني(ت١٢٥٥هـ) عالم الكتب،لبنان
- تفسير الكشاف: جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) مط، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦٦م.
- تفسير الميزان: السيد الطباطبائي الحكيم، جماعة المدرسين،قم.
- ثمار القلوب: نور الدين الحلبي (ت٧٢٣هـ) دار الكتاب العربي، القاهرة.
- جامع الجامع : الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام :الشيخ علي الكوراني، ط٢، دار الهادي قم، ١٤٢٠هـ.
- الدر المنثور: جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- السيرة الحلبية: نور الدين الحلبي(ت١٠٤٤هـ) مطابع دار القلم، دمشق.
- شمس الأخبار:سليمان بن إبراهيم(ت٦٦٥هـ)،دار النعمان، النجف الأشرف.
- شرح إحقاق الحق:السيد آية الله العظمى المرعشي النجفي، منشورات مكتبة المرعشي،قم.
- الصواعق المحرقة: ابن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، دار النعيم للطباعة، دمشق.
- الطبقات: ابن سعد(٧٥٦هـ) منشورات محمد بيضون، دار الكتاب العربي،بيروت.
- عبقات الأنوار في إمامة الأطهار: السيد مير حامد حسين،ط، ١، قم،١٤١٠هـ.
- غاية المرام : شهاب الدين الهمذاني(ت٧٣٢هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت،١٩٧٢م.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب : عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- فرائد السمطين: الحموينى (ت٧٢٢هـ)، دار الثقافة والعلم، بيروت،ط١٩٧٨،٢م
- الفضائل: شاذان بن جبرئيل (ت٦٦٠هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٩٦٢م.
- الفهرست : ابن النديم، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- كشف الغمة :السيد مهدي البحراني(ت٩٩٢هـ)، مط، دار النعمان، النجف الأشرف.
- مجمع الزوائد: الهيثمي(ت٨٠٧هـ) مط، الوراق للنشر والتوزيع، بيروت.
- المراجعات: السيد عبد الحسين الموسوي، دار النعمان،ط٦، النجف الأشرف.
- مروج الذهب: المسعودي(٦٢٥هـ)دار الكتب العلمية.٢٠٠٢م.
- المستدرك: الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ) منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
- المناقب: ابن المغازلي الشافعي(ت٤٨٣هـ) دار النفائس،ط٢، بيروت، ١٩٧٧م.
- النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٩٦م.